ABES13

**أحاديث الأذكار والأدعية 77 - ما يقوله من عليه دين**

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فالحديث عمَا يَقُولُهُ مَنْ عَلَيْهِ دَيْنٌ.

عَنْ عَلِيٍّ : **أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَجَزْتُ عَنْ مُكَاتَبَتِي فَأَعِنِّي. قَالَ: أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ عَلَّمَنِيهِنَّ رَسُولُ الله** ؛ **لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلِ** **صِيرٍ دَيْنًا أَدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قَالَ: قُلْ «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**» رواه الترمذي.

قوله « **أَنَّ مُكَاتَبًا جَاءَهُ**»؛ أي عبداً أراد لنفسه العتق بالمكاتبة، قال الله تعالى :{وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}[النور:33]؛ والمكاتبة : أن يتفق العبد مع سيده أن يعطيه كل شهر مثلا مبلغاً معينا من المال لمدة معينة، فإذا وفى المبلغ عتق بهذه المكاتبة.

قال: «**أن مكاتباً جاءه فقال إني عجزت عن كتابتي فأعني**» أي: عجزت عن المال الذي كاتبتُ سيدي عليه، فأعني : أي ساعدني على هذا الأمر .

قال**:** «**ألا أعلمك كلمات علمنيهن رسول الله** **لو كان عليك مثل جبل صِيرٍ دينا أداه الله عنك**» أي: لو كان عليك دين كبير أداه الله عنك ويسّر لك أمر سداده. وهذا فيه أن الدعاء مفتاح كل خير في الدنيا والآخرة . وهذا خير كم نفرط فيه!! أحيانا يأتي المحتاج وحاجته شديدة فتصرفه بأن تقول له "ما عندي شيء" أو تعطيه شيئا يسيرا، ويُغفل في هذا الموطن عن دلالته إلى هذا الدعاء العظيم، كما صنع علي . وما يدريك قد تدله على هذا الدعاء وهو لا يعلمه فيكون فرجًا له، بل هو الفرج، وربما كان خيرًا له مما لو أعطيته المال الذي جاء يسأله .

قوله: «**قل اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك**»؛ هذا فيه خضوع العبد وافتقاره إلى الله والتجاءه إليه وحده .

«**اكفني بحلالك عن حرامك**» أي: اجعل ما أحللته لي كافياً لي؛ بحيث لا أتعدى ولا أتجاوز إلى أمرٍ حرمته عليّ، فيطلب من الله أن يرزقه القناعة والرضا والكفاية بما أحله الله تبارك وتعالى لعباده من الرزق، وأن يجنِّبه الحرام وسبله . بعض الناس إذا ضاقت به الأمور وكثرت عليه الديون قد يلجأ إلى بعض الأمور المحرمة، وقد تقدم في تعوّذ النبي من المغرم قال: ((إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ)) وهذا حرام ، وقد أيضا تمتد يده إلى أخذ حقوقٍ للناس أو الاعتداء على أموالهم . فهذه الدعوة في هذا المقام بطلب أن يكفيه بحلاله عن حرامه من أطيب وأنفع ما يكون؛ لينال القناعة والرضا، وليحصِّل التيسير والفرج .

وقوله «**وأغنني بفضلك عمن سواك**»؛ هذا فيه الافتقار إلى الله وسؤاله سبحانه أن يغنيه من واسع فضله بحيث لا يحتاج إلى أحد سواه، والله يقول: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ}[فاطر:15] .

وهذا فيه أنَّ العبدَ ينبغي أن يكون مفوِّضاً أمرَه إلى الله، معتمداً عليه وحده، مستعيناً به، متوكِّلاً في جميع أموره عليه، وكفى به سبحانه وكيلاً. ولا بدَّ مع الدعاء من بذل السَّبب، والسَّعي الجادِّ لسداد الدَّين، والعزمِ الصادق على الوفاء به، والمبادرةِ إلى ذلك في أقرب وقتٍ يَتَهَيَّأُ السَّدادُ، والحذر الشَّديد من المماطلة والتَّسويف، فإنَّ مَن كان كذلك فحَرِيٌّ به ألاَّ يُعان.

أمَّا مَن حَمَلَ في قلبه هَمَّ الدَّين وكانت له نيَّةٌ صادقةٌ في أدائِه أعانه اللهُ وأدَّى عنه دَينَه. روى البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله : ((مَن أخذ أموالَ النَّاس يريد أداءها أدَّى اللهُ عنه، ومن أخذها يريد إتلافَها أتلفه الله )) ، وروى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله : ((مَا مِن عبدٍ كانت له نيَّةٌ في أداء دَيْنِه إلاَّ كان له مِن الله عَوْن )) ، وروى النسائي عن ميمونة رضي الله عنها عن النَّبِيِّ أنَّه قال: ((ما من أحَدٍ يُدانُ دَيْناً فعلمَ اللهُ منه أنَّه يريدُ قضاءَه إلاَّ أدَّاه اللهُ عنه في الدنيا)).

فإن صَدَقَ العبدُ في عَزمِه وصَلحُت نيَّتُه تيَسَّرت أمورُه وأتاه الله باليُسر والفَرَج من حيث لا يَحتَسب، ومَن صَحَّ توكُّلُه على الله تكَفَّلَ الله بعونه، وسدَّدَ أمرَه، وقَضَى دَينَه.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن رسول الله : «أنَّه ذَكَرَ رجلاً من بني إسرائيل سألَ بعضَ بني إسرائيل أن يُسلفَه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أُشهدُهم، فقال: كفى بالله شهيداً، قال: فائتني بالكفيل، فقال: كفى بالله كفيلاً، قال: صدقتَ؛ فدفعها إليه على أَجَل مسمًّى، فخرج في البحر فقضى حاجتَه، ثمَّ التمس مركبًا يركبها يقدِم عليه للأجل الذي أجَّلَه، فلم يَجد مركباً، فأخذ خشبَةً فنَقَرَها فأدخلَ فيها ألفَ دينار وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم زَجَّجَ موضعَها -أي: سوَّى موضعَ النقر وأصلحَه- ثم أتى بها إلى البحر فقال: (اللَّهمَّ إنَّك تعلَمُ أنِّي كنت تسلَّفتُ فلاناً ألفَ دينار، فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً، فرَضِيَ بك، وسألني شهيداً، فقلت كفى بالله شهيداً، فرَضِيَ بك، وإنِّي جَهَدتُ أن أجد مركباً أبعثُ إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستوْدِعُكَها)، فرمَى بها في البحر حتى وَلَجَت فيه، ثم انصرف وهو في ذلك يلتمسُ مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرَّجلُ الذي كان أسلَفَه ينظرُ لعلَّ مركباً قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطباً، فلما نشَرَها -أي: قطعها بالمنشار- وجد المالَ والصحيفةَ، ثم قدِمَ الذي كان أسلَفَه فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلتُ جاهداً في طَلَب مركبٍ لآتيكَ بمالك فما وجدتُ مركباً قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنتَ بعثتَ إليَّ بشيء؟ قال: أُخبرُك أنِّي لَم أجد مركباً قبل الذي جئتُ فيه، قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنكَ الذي بعثتَه في الخشبة، فانصرفْ بالألف الدينار راشداً ».

فهذه قصَّةٌ عجيبة ذكرَها رسولُ الله عن هذا الرَّجل من بني إسرائيل صادق النية حريصًا أشد الحرص على سداد الدين وقضائه؛ لنَتَّعظَ بها ونعتَبِرَ، ولنعلمَ كمالَ قدرة الله وتمامَ عونه وحسنَ كفايته لعبده إذا أحسن الالتجاءَ إليه وصَدَقَ في الاعتماد عليه. وتأمَّل كمالَ التوفيق حيث لَم تقع هذه الخشبةُ المشتملةُ على المال إلاَّ في يد صاحبها، فتبارك الله العليمُ القدير.

ولا ينبغي للمسلم أن يستهينَ بأمر الدَّين أو يُقلِّلَ من شأنه أو يتهاونَ في سداده، فقد ورد في السُّنَّة أحاديثُ عديدة تفيد خطورة ذلك، وتدلُّ على أنَّ نفسَ المؤمن معلقةٌ بالدَّين، وأنَّ الميتَ محبوسٌ بدَيْنِه حتى يُقْضَى عنه.

روى الإمام أحمد عن سَعد بن الأطول قال: «مات أخي وترك ثلاثَ مائة دينار، وترك فيه ولداً صغاراً، فأردتُ أن أنفقَ عليه، فقال لي رسول الله : ((إنَّ أخاك محبوسٌ بدَيْنه فاذهب فاقضِ عنه)) قال: فذهبتُ فقضيتُ عنه ثم جئتُ فقلت: يا رسول الله قد قضيتُ عنه، ولم يبقَ إلاَّ امرأة تَدَّعِي دينارين، وليست لها بيِّنة، قال: ((أَعطِهَا، فإنَّها صدقة)) ». وروى أيضاً من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله : (( نفسُ المؤمن معلَّقَةٌ ما كان عليه دَين )).

ولهذا فإنَّ الواجبَ على المسلم إذا كان عليه دَينٌ أن يُبادرَ إلى سداده قبل أن يبْغَتَه الموتُ، فتُحبس نفسُه بدَيْنِه ويكون مرتهناً به، وإذا لَم يكن عليه دَينٌ فليحمَد الله على العافية، وليتحاشَ الاستدانةَ ما لَم يكن لها حاجةٌ داعيةً أو ضرورة مُلحَّةً؛ ليسلم مِن هَمِّ الدَّيْن، وليُرِح نفسه من عواقبه، وليكن في أَمَنَة من مغبَّته. ففي المسند من حديث عُقبة بن عامر أنَّ رسول الله قال: ((لاَ تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا)) قَالُوا : وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : ((الدَّيْنُ)) أي: لا تسارعوا إلى الدَّيْن فتُخيفوا أنفسَكم من توابعه وعواقِبه.

ومن الدعوات العظيمة التي كان النَّبِيُّ يحثُّ مَن أوى إلى فراشه على المحافظة عليها والعناية بها، ولها تعلقٌ بقضاء الدين: ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة قال: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ يَأْمُرُنَا إِذَا أَخَذْنَا مَضْجِعَنَا أَنْ نَقُولَ: ((اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرِاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالفُرْقَانِ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ**))» ورواه أبو داود بلفظ: ((اقض عني الدين ، وأغنني من الفقر))

قوله: «**اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ**» أي: أَدِّ عنَّا حقوق الله وحقوق العباد من جميع الأنواع، وهذا فيه تبري الإنسان من الحَول والقوَّة، وأنَّه لا حول ولا قوة له إلاَّ بالله العظيم.

وقوله: «**وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ**»؛ الغنى: هو عدم الحاجة، والفقر: خلو ذات اليد، والفقير: هو مَن وجد بعضَ كفايته، أو لَم يجد شيئاً أصلاً.

ومن المعلوم أنَّ الدَّينَ والفقرَ كلاهما هَمٌّ عظيمٌ، قد يؤرِّق الإنسانَ ويمنعه من النوم، فإذا لَجأ العبدُ إلى الله وطلب منه سبحانه مدّه وعونه متوسِّلاً إليه بتلك التوسُّلات العظيمة، فإنَّ نفسَه عندئذٍ تسكن وتطمئن، وقلبَه يرتاح ويهدأ؛ لأنَّه وكل أمرَه إلى مَن بيده أزمَّة الأمور ومقاليد السموات والأرض، ولَجأ إلى مَن أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، وكيف لا يطمئنُّ القلبُ وقد تعلَّق بِمَن هذا شأنه!!.

وأسأل الله أن يوفقنا أجمعين لكل خير، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب .

وصلى الله وسلَّم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .